الفصل الرابع

زعيمات سياسيات
من غرف خلع الملابس

كان المفروض أن نختار عنواناً آخر لهذا الفصل ، أو على الأقل نبدل الجزء الثانى من العنوان . فبدلاً من أن نقول « زعيمات سياسيات من غرف خلع الملابس » . كنا مثلاً نقول : « زعيمات سياسيات من خلف الكواليس » . ولما كنا قد اتفقنا منذ بداية رحلتنا عبر هذه الدراسة على اختيار لفظ « الملعب السياسى » بدلا من «المسرح السياسى » وأوضحنا وجهة نظرنا فى الفصل التمهيدى ، فقد رأينا أنه من غير المناسب وفقاً للاختيار الجديد أن نستخدم كلمة « الكواليس » لأنها لا تعبر عن المعنى المطلوب فيما يتعلق باصطلاح « الملعب السياسى » . وكان علينا حينئذ أن نختار لفظ « غرف خلع الملابس » لأنها أكثر ارتباطاً بمفهوم الملعب . وغرف « خلع الملابس » نعرفها جميعاً قبل انتقالها إلى عالم الرياضة . ولكنها أصبحت متداولة أكثر فى الميدان الرياضى ومعروفة لدى الرياضيين ، حيث ارتبطت باللعبة ونوعها . وكذلك بأرض الملعب . ومادمنا قد عرفنا عالم السياسية بأنه « ملعب » ، فإننا كثيراً ما سوف نستخدم هذا اللفظ بعينه .

واختيارنا لهذا الاصطلاح المجازى وإدخاله عالم السياسة ، إنما هو يعبر تعبيراً صادقاً عن واقع تعيشه المرأة المصرية والعربية فى هذا المجال ؛ لأنها حين فشلت فى المشاركة فى الحياة السياسية ، وفشلت كذلك فى الاقتراب من موقع اتخاذ القرار السياسى ، سواء من خلال الأحزاب أو عن طريق الجماهير . . قررت أن تكون زعيمة سياسية وقائدة من خلف ظهر الرجل رغماً عن أنفه ، وأحياناً بعلمه وتشجيعه ، وبإرداته وتوقيعه .

إن الأمثلة فى واقعنا المصرى والعربى كثيرة ، وقد لا يسعها مثل هذا الكتاب .

ويسود اعتقاد خاطىء بأن النماذج النسائية التى تولت القيادة والزعامة السياسية الفعلية من خلف ظهر الزوج أو من أمامه وهو لا يزال على قيد الحياة ، قد تمثل حالات فردية تحدث كل عدة سنوات متباعدة ، أو أنها مقصورة على شريحة معينة من النساء .

أقول إنه اعتقاد خاطىء ؛ لأن المرأة فى تصورنا . . تمثل المرأة . . أو بالأحرى هى تنفس عن واقع المرأة الذى فشلت بالفعل داخل المجتمع المصرى والعربى فى أن تكون زعيمة سياسية برغم أن الطريق كان ولا يزال ممهداً لها على مستوى القاعدة الشعبية . وهى من أجل هذا الفشل تتقدم لتبنى جنسها نموذجاً حيوياً يُظهر قدرتها على القيادة وتولى الزعامة السياسية برغم أنف الرجل ، سواء كان زوجها أو ابنها ، ولا فرق فى ذلك أن تكون داخل قصر الرياسة أو القصر الملكى .

إن فشل المرأة العربية فى الوصول إلى موقع صنع القرار السياسى بإرادة المجتمع أدى بها إلى أن تسلك سلوك القيادة والزعامة برغم أنف المجتمع أو بعلمه ! ولكن فى صورة رجل قد يكون زوجها أو ابنها أو أخاها ، سواء كان ذلك الرجل ملكاً أو رئيساً أو زعيماً سياسيًا .

وصورة المرأة الزعيمة داخل غرف خلع الملابس ، لا تتضح لكثير من الناس ؛ لأسباب تتعلق بالوضع الذى هى عليه ، وبالظروف الاجتماعية المحيطة بها والتى يمثلها فى المقام الأول سطوة الزوج الملك أو الرئيس الذى يرى أن من واجبه أن يكون أمام شعبه هو الزعيم القائد . . برغم اعترافه عمليًا بأن زوجته هى التى تحرك الأمور السياسية من خلف ظهره . . بل وفى كثير من الأحيان تشارك فى صنع القرار ، وماعليه إلا أن يوقع فقط .

وحين يرحل هذا الزعيم أو هذا القائد أو هذا الرئيس ، تتضح الصورة أكثر . . ونشعر بدور الزوجة فى الحياة السياسية ، حيث تبادر من تلقاء نفسها إلى الإفصاح عن هذا الدور بكتابة مذكراتها أو بتسريب بعض الأخبار والموضوعات التى تشير إلى هذا

الدور من قرب أو بعيد . والغرض من ذلك معروف . . إنها تريد أن تقول للرجل ، أو للشعب الذى كان يعتقد أن الزوج هو المحرك السياسى الفعلى للدولة : إنها كانت تشاركه فى الأمور السياسية ، ولم يكن يستطيع أن يتخذ أى قرار بدون الرجوع إليها . . ليس هذا فقط . . بل تريد أن تثبت أنها كانت تتدخل فى كل كبيرة وصغيرة فيما يتعلق بشئون الحكم بالدولة . وأنها كانت دائماً تستخدم ذكاءها حتى حين يكشف زوجها اللعبة ، ويلجأ إلى وسائل الإعلام من أجل التكذيب . فلم تكن تعارض قط ، بل تضم صوتها إلى صوت المكذبين !! حتى يظل المجال أمامها مفتوحاً من أجل مواصلة دور الزعيمة السياسية المرغوبة والمرهوبة فى آن واحد . إنها فقط تريد أن تقول : « نحن هنا . . نلعب الدور السياسى الكبير فى الدولة » .

ولن نتوغل كثيراً فى التاريخ المصرى أو العربى من أجل عرض بعض النماذج . . بل سوف نكتفى بالوقوف على أبواب العصر الحديث ، ونسوق بعض الأمثلة التى كان للمرأة فيها دور الزعيم والقائد من خلف نوافذ غرف خلع الملابس ، تحت سمع وبصر الزوج وبعض رجال الدولة ، برغم أننا قد نسمع قبيل رحيل الزوج الزعيم والقائد أو الرئيس بزعامة الزوجة ودورها فى اتخاذ العديد من القرارات السياسية والمصيرية ، إلا أنها وقتها لا تخرج عن كونها إشاعات ، تتصدى لها وسائل الإعلام الرسمية وغير الرسمية من أجل تكذيبها ! ، لا لشىء إلا من أجل أن تبقى صورة الزعيم الراحل أو الرئيس القائد ماثلة طويلاً أمام أفراد الشعب ، ولا مانع أبداً من معاقبة هؤلاء الذين شوهوا صورة زعيمة غرف خلع الملابس بالإبعاد أو السجن . . سواء بإرادتها أو بإرادة بقايا زوجها أو أتباعه ! .

والنماذج النسائية التى اخترناها ، ليست بالضرورة لنساء تحلم بالزعامة أو قد سعت إليها . . ولكن الظروف هى التى وضعتها على بداية الطريق ، وفرضت عليها أن تتولى دفة الحكم واتخاذ القرار السياسى جنباً إلى جنب مع زوجها أو ابنها ، أو بمبادرة فردية من داخلها ، لإحساسها بأنها تستطيع أن تقود وتتزعم .

والمرأة التى نعنيها هنا ـ برغم أنها لم تكن تحلم بالزعامة السياسية ، وربما لم تسع

إليها ـ نراها حين وُضِعَتْ على أولى درجات السلم واصلت الصعود بثقة وثبات، وأرادت أن تثبت للرجل والمرأة على السواء ، أنه إذا ما تهيأت لها الظروف وأفسحوا لها المجال فمن الممكن أن تلعب دور الزعامة السياسية ، وبتفوق يصل إلى حد الإجادة التامة ، وفى كثير من المجالات تتفوق على الرجل فى المنصب نفسه ! .

وقد يتعجب البعض من اختيارنا للسيدة « نازلى » زوجة الملك أحمد فؤاد ، وأم الملك فاروق ، كى تكون فى بداية الهرم السياسى للمرأة المصرية والعربية فى العصر الحديث . من أجل ذلك نود أن نوضح نقطة متعلقة بهذا الاختيار . . هى أنه بجانب الترتيب الزمنى للأحداث السياسية التى مرت بها مصر والعالم العربى وجعلت الملكة نازلى ترتبط بهذه الأحداث ، فإنه كان لها دور فعلى داخل القصر الملكى أيام حكم ابنها فاروق ، بصرف النظر عما أُثير ولا يزال عن سلوكها الشخصى . ومن بعد نازلى لنا حديث آخر عن السيدة « جيهان » زوجة الرئيس الراحل أنور السادات . ومن بعدها حديث عن غرف خلع الملابس على المستوى العربى ، فيما يتعلق بالسيدة « وسيلة عمار» أو زوجة الرئيس التونسى بورقيبه .

■■ الملكة نازلى ..

زعيمة سياسية رومانسية

قبل ثورة يوليو عام ١٩٥٢ ، حيث تغيرت الأوضاع السياسية ، وحمل الملك عصاه إلى خارج مصر . . كانت الملكية ضاربة فى أرض مصر منذ أيام الوالى محمد على الذى نجح فى الاستقلال بمصر عن الإمبراطورية العثمانية ، ومن بعده توالى على حكم مصر أبناؤه وأحفاده ، ومن ثم أعلنت الملكية رسميًّا بتولى أحمد فؤاد عرش مصر.

والفترة التى هى حديث هذه الدراسة فيما يتعلق بالدور السياسى الذى لعبته امرأة من خلف ظهر الرجل ، سواء كان الزوج أو الإبن ، هى الفترة التى أعقبت تولى الملك أحمد فؤاد عرش مصر عام ١٩٢٣ خلفاً لأخيه السلطان حسين كامل . ومن بعده ابنه فاروق الذى تنازل عن العرش عام ١٩٥٢ بقيام ثورة يوليو .

إن الملكة نازلى ، برغم أن دورها السياسى كزعيمة ظل خلف قضبان سجن الحريم

فى قصر القبة أيام زواجها من الملك فؤاد ، غير أن هذا الدور سرعان ماظهر جليًّا أيام حكم ابنها فاروق ، ويبدو أنها خلال السبعة عشر عاماً التى قضتها حبيسة زواج الملك فؤاد داخل قصر القبة مع بقية حريم الملك ، قد هيأت نفسها كى تلعب الدور السياسى الذى فُرض عليها بعد رحيل زوجها الملك فؤاد ، وتولى ابنها الطفل عرش مصر .

وكان يدفعها إلى هذا الدور ما تعلمته ولو على سبيل السماع ، فى منزل زعيم الأمة آنذاك سعد زغلول ، حيث كانت قريبة جدًّا من بيت الأمة ، وقريبة كذلك من عقل الزعيم سعد زغلول ، وقلب ابنه بالتبنى وابن أخيه سعيد زغلول .

لقد كانت فترة السجن الإجبارى للملكة نازلى كزوجة للسلطان أحمد فؤاد هى نتيجة للظروف الاجتماعية والسياسية التى أحاطت بهذا الزوج ، حيث كانت السيدة نازلى الزوجة الثانية للسلطان بعد زواجه من الأميرة شويكار .

ولما كانت نازلى تتميز بالجمال والرقة والشباب والحيوية ، فقد خاف عليها الملك ، وبالتالى أدى خوفه عليها أن يحبسها فى قصر الحريم بحدائق القبة ، وهى بدورها قد استسلمت لهذا السجن طوال سبعة عشر عاماً حتى مات الملك ، ومن ثم بدأت تنطلق إلى الحياة المدنية والسياسية ، وكذلك إلى عالم الزعامة من خلف ابنها الصبى فاروق ، الذى قال عنه التاريخ إن أمه لعبت الدور الرئيسى فى اختياره على عرش مصر خلفا لأبيه الملك فؤاد ، والذى لو اتبع تعليماتها من البداية ومشى على الطريق الذى رسمته له طوال أيام حكمه لا ستمر ملكاً على عرش مصر فترة أطول .

والآنسة نازلى ، ابنة عبد الرحيم باشا صبرى ، مدير المنوفية ، يرجع نسبها من ناحية جدتها إلى سليمان باشا الفرنساوى ، ومن ناحية والدها يرجع نسبها إلى شريف باشا ، رئيس وزراء مصر فى فترة من فترات حكم أبناء الوالى محمد على .

أما عن صفاتها الشخصية فيحدثنا عنها الكاتب الصحفى مصطفى أمين بقوله : كانت فتاة طويلة القامة ، رشيقة القوام والقد ، بشرتها بيضاء كاللبن ، وشعرها أسود

طويل ينسدل إلى ما تحت ظهرها ، عيناها سوداوان واسعتان ضاحكتان . وكان وجهها مشرباً باحمرار فى لون ورد الربيع [1] .

ويبدو أن نازلى كانت صاحبة طموحات وآمال واسعة فى عالم الزعامة والحكم ، بدأت بداخلها كأحلام سرعان ما سعت بكل ما تملك من جمال وذكاء إلى تحقيقها كواقع ، وقد كان لها ما أرادت ، حيث نجحت فى الوصول إلى عرش مصر زوجة للسلطان أحمد فؤاد ، بعدما رفضت الحب وفضلت عليه الجاه والسلطان ، فقد كانت ـ كما يقول مصطفى أمين ـ تحب ابن أخى الزعيم سعد زغلول وابنه بالتبنى سعيد زغلول ، الموظف التشريفاتى بالقصر الملكى .

كان سعيد زغلول شابًا ، قد أحب الفتاة الجميلة نازلى . . ملأت قلبه وفكره وحواسه وأحلامه ، واستمر الحب ينمو ويترعرع مع الأيام داخل بيت الأمة ، تحت سمع وبصر ورعاية السيدة صفية زغلول ، التى حين عرفت برغبة سعيد فى الزواج من نازلى باركته ، ونقلت تلك الرغبة إلى زوجها الزعيم سعد زغلول ، حيث كانت ابنة صديقه عبد الرحيم باشا صبرى .

وحين انتقلت تلك الرغبة إلى الزعيم سعد زغلول ، قابل والد الفتاة وطلب يدها لسعيد زغلول ، وفى البداية رحب الأب وانتظر أياماً كى يأخذ رأى ابنته الآنسة نازلى .

فى هذه الفترة مات السلطان حسين كامل ، وتولى أخوه الأمير أحمد فؤاد عرش مصر بعدما تنازل ابن السلطان حسين كامل عن العرش بعد رحيل والده .

ومن خلف الكواليس ، كانت هناك صراعات سياسية وشخصية بين الزعيم سعد زغلول وبين الأمير الذى اعتلى عرش مصر فجأة !! هذه الصراعات زادت حدتها بعدما تولى أحمد فؤاد العرش .

وتحالف فى هذا الصراع ضد الملك كل أهل منزل الزعيم سعد زغلول وكافة أقاربه ومعارفه ، بما فيهم ابن أخيه سعيد زغلول ، ذلك الشاب الذى رفض الاستمرار فى

---

(١) مصطفى أمين ـ من واحد لعشرة .

عمله داخل القصر ، والذى كان فى نفس الوقت يعُد العدة من أجل الاقتران بالآنسة نازلى حبيبة القلب والروح .

ويبدو أنه كان لهذه الصراعات والخلافات تأثير كبير على إتمام زواج نازلى من سعيد زغلول ، حيث عرف الملك فؤاد عن طريق عيونه داخل المجتمع برغبة الزواج هذه ، فآثر أن يهزم خصمه وينتقم منه فى صورة الفوز بزواج نازلى بدلاً من سعيد زغلول ! . وبالفعل استطاع التأثير على والدها وجعله يرفض زواج ابنته من سعيد زغلول والموافقة فى نفس الوقت على زواج الملك من ابنته ! . ويصف لنا الزعيم سعد زغلول هذا الرفض فى مذكراته بقوله :

« ذات مساء دعوت صديقى عبد الرحيم صبرى باشا مدير المنوفية لمشاهدة إحدى الروايات فى مسرح الأوبرا . . وفى أثناء الاستراحة سألته عن آخر أخبار الموافقة على زواج نازلى من سعيد » .

شَعُر سعد زغلول بتغيير لهجة حديث صديقه والد العروس بما يوحى بالرفض . . وفى اليوم التالى فوجىء الجميع بإعلان خطبة السلطان فؤاد للآنسة نازلى التى خطبها لابن شقيقه سعيد بعدما رحبت هى نفسها بهذا الزواج .

ولم تكن هذه الرواية هى الوحيدة لقصة زواج الملك فؤاد من الآنسة نازلى . . بل إن هناك رواية أخرى نسوقها على لسان الصحفى الراحل محمد التابعى حيث يقول :

لقد تعددت الروايات واختلفت عن زواج السلطان أحمد فؤاد من الآنسة نازلى ، ولكن الذى سمعته من رواة ثقات من أقاربها هو أنها أُرْغمتْ على هذا الزواج ، حيث كانت تحب شابًّا من أقاربها ، وكان أملها فى الزواج كبيراً إلى أن خطبها عظمة السلطان أحمد فؤاد من أبيها .

وفى اليوم المحدد لعقد القران هربت نازلى فى الصباح الباكر من قصر أبيها ولجأت إلى منزل حبيبها ، وراح الفتى ينتقل وهى معه طوال اليوم من دار إلى دار خوفاً من مطاردة حرس الملك ، وأخيراً أدرك الفتى أنه لافائدة مما يفعله ، ولعله خاف مما قد

يصيبه من بطش السلطان ، فأركب حبيبة قلبه الآنسة نازلى حنطوراً وأعادها إلى قصر والدها فى المساء .

وحين عادت نازلى عقد الملك عليها . . وبذلك أصبحت ـ برغم أنها من عامة الشعب ـ ملكة مصر ، وزوجة السلطان أحمد فؤاد ، ومن يومها نقلها السلطان إلى قصر القبة وحبسها هناك . وعليها فى كل ردهة وكل رواق وغرفة عيون وأرصاد ، وأصبحت لا تغادر بالقصر إلا بإذن ، فقد كان أحمد فؤاد شديد الغيرة على زوجته الشابة الجميلة .

ويبدو أن الشاب الذى أشارت إليه الرواية الثانية هو سعيد زغلول . . لأن محمد التابعى حين ذكر اسم الشاب اكتفى بذكر الحرفين الأولين من اسمه ، وعلل هروبه من ذكر اسم الشاب بالكمال بأنه لا يزال حيًّا بيننا كما لجأ التابعى إلى مزيد من التمويه؛ لأنه ذكر حرفين مختلفين عن اسم الشاب . فبدلاً من أن يذكر لنا حروف «س . ز » . . ذكر حرفين آخرين هما « ش . ش » . وعلى أية حال . . لقد فاز الملك فؤاد فى النهاية بالعروس الشابة الجميلة . . واستطاع بهذا الزواج أن يزيد الخلافات والصراعات بينه وبين زعيم الوفد سعد زغلول ، وكان نصيب الآنسة نازلى من هذا الزواج الحبس الاختيارى الذى استمر حتى ٢٦ من أبريل عام ١٩٣٦ . . أى ما يقرب من سبعة عشر عاماً .

وبصرف النظر عما خلفه هذا السجن من حرمان وضيق للملكة طوال هذه السنين الطوال ، فقد انطلقت تعيش حياتها المدنية والسياسية فور رحيل زوجها ، ولن نتعرض من قريب أو بعيد لتلك الروايات التى ارتبطت بحياة نازلى الخاصة والغرامية ، وقصصها المتواترة مع رئيس الديوان الملكى آنذاك أحمد حسنين باشا ، أو مع غيره من موظفى القصر ؛ لأن ذلك ليس هدفنا من هذه الدراسة ، وكل ما سوف نبحث عنه هو دور الزعامة داخل قلب وصدر هذه المرأة ، وكيف فرضت نفسها بذكائها على الحياة السياسية المصرية آنذاك ، وأكدت وجودها وذاتها من خلال نفوذها القوى على ابنها الملك الشاب « فاروق » الذى شاءت الظروف بالنسبة للملكة الأم أن يكون الملك غلاماً صغيراً فى حاجة إلى توجيه ورعاية .

ويبدو أن الملكة نازلى كانت تسمع وقتها أصوات نظرائها من نساء ذلك العصر اللائى بدأن فى المطالبة بالحقوق المدنية والسياسية ، وأن مركزها ووضعها داخل القصر الملكى لم يكن يسمح لها قط بالنزول إلى هؤلاء النسوة ومشاركتهن فى تلك المطالبات ، من أجل ذلك اكتفت بممارسة الدور السياسى الذى كانت تحلم به المرأة المصرية من خلف ابنها الصغير فاروق ، الذى دفعت به الأقدار كى يعتلى عرش مصر وهو لا يزال صبياً تعوزه الحنكة ، ويحتاج إلى من يدله على التصرف السليم فيما يتعلق بشئون الحكم والسياسة .

لقد كان فاروق تلميذا فى السادسة عشرة من عمره ، أرسله والده إلى إحدى المدارس الإنجليزية من أجل استكمال تعليمه ، وألحقه « بقصر كنرى هاوس » بلندن ، ولكن سرعان ما توفى والده الملك فؤاد[٢] . ووجب رجوعه إلى مصر . . نصف أُمِّىٍّ . . وحينما عاد إلى مصر فى الأسبوع الأول من شهر مايو عام ١٩٣٦ ، أحاط به بعض أفراد الأسرة المالكة الذين كانوا يشكلون تهديداً للعرش المصرى ، وبالتالى تهديداً لاعتلائه عرش مصر بعد والده ، بجانب رغبة بريطانيا آنذاك التى تبلورت فى ضرورة اختيار ملك غيره يحكم مصر ، سيراً على نهجها السابق . إذ لا بد أن يكون للخارجية البريطانية النصيب الأكبر فى هذا الاختيار مثلما حدث مع عمه السلطان حسين كامل ووالده الملك فؤاد ، لقد كانت النية متجهة إلى اختيار الأمير محمد على توفيق كى يخلف الملك فؤاد ، على العرش ، نظراً لصغر سن فاروق .

وينقل لنا عادل ثابت مدى قلق الملكة الأم على مصير ابنها وضرورة أن يكون خلفاً لوالده الملك الراحل ، حيث يقول : . . كانت الأيام الأخيرة من حياة الملك فؤاد زاخرة بالأحداث ، وعندما كان الملك العجوز يحتضر فعلا . . اتصلت الملكة نازلى بأمى تليفونيًّا وقالت : إن فؤاد يحتضر ، وهناك شائعة بأن البريطانيين ، سوف يضعون الأمير محمد على على عرش مصر بدلاً من فاروق ، ولابد أن نفعل شيئاً بسرعة ، ودُعى مؤتمر للانعقاد على عجل فى بيتنا بقصرالدوبارة ، مع شريف باشا صبرى شقيق الملكة نازلى ووكيل وزارة الخارجية فى ذلك الحين ، وتقرر إرسال برقية إلى فاروق للعودة

---

(٢) محمد التابعى ـ من أسرار الساسة والسياسة .

إلى الوطن من انجلترا فى أسرع وقت ، وأن تطلب الحكومة المصرية رسميًّا من السلطات البريطانية إعادة وريث العرش الشاب بطريق الجو ، وتم تنظيم الدعاية المناسبة له فى الصحف (٣) .

ويبدو أن البريطانيين على حد قول بعض المؤرخين قد أُخِذُوا على غرة ، وفوجئوا بالوضع السياسى فى مصر بعد رحيل الملك فؤاد ، فلم يكن أمامهم سوى اختيار الملك الطفل ، فقد تكون فرصة لهم من أجل تشكيله حسبما يريدون ! .

ومن أجل التغلب على مشكلة صغر السن تم تشكيل مجلس وصاية على العرش مؤلف من الأمير المعجوز محمد على توفيق وبعض أفراد الأسرة الملكية . وقد ظهرت براعة وذكاء وحنكة الملكة نازلى فى تصريف أمور البلاد فور وفاة زوجها واعتلاء ابنها الطفل فاروق العرش خلفاً لوالده ، كما استغلت الملكة الأم هذه البراعة حتى فى تدعيم حكم ابنها فاروق ؛ إذ كانت تؤمن ـ وبشدة ـ أن الملك الشاب فى حاجة إلى الاحتفاظ بعلاقات طيبة وودية مع حزب الوفد فى شخص زعيمه مصطفى النحاس الذى كانت زوجته زينب الوكيل سيدة قوية وصديقة شخصية للملكة نازلى (٤) .

لقد استغلت الملكة نازلى جهودها وصداقاتها فى تثبيت ابنها فاروق على العرش ، حيث أقنعت وزارة النحاس بخفض سن الرشد ، وبالتالى الاستغناء عن مجلس الوصاية على العرش ، كما رأت ضرورة أن يقوم الملك فاروق نصف الأمى برحلة إلى أوربا ، لعل هذه الرحلة تزيد من تجاربه ومعلوماته ولو قليلاً . وتقرر أن تصحبه خلال الرحلة الملكة الأم وشقيقات الملك .

وبعد عودة الرحلة استمر تدخل الملكة نازلى فى حياة فاروق وحياة مصر السياسية بعد ذلك . . إذ حرصت على أن تختار له الزوجة الصالحة المناسبة وقد وفقت فى هذه الخطوة إلى أبعد حد ؛ ففى نوفمبر عام ١٩٣٦ أصبح معروفاً داخل الصالونات الملكية أن الملك الشاب فاروق يعيش قصة حب مع الآنسة « صافيناز » أو « فافيت »

---

(٣) عادل ثابت ـ فاروق الأول الملك الذى غدر به الجميع .

(٤) المصدر السابق .

ذو الفقار . وقد تأكدت الملكة الأم من هذه القصة ، وكانت حينذاك ـ كما يصفها لنا عادل ثابت ـ امرأة فى الأربعين من عمرها مازالت تحتفظ بمظهرها الملكى الجميل ، وفوق ذلك تحررت مؤخراً من القيود بوفاة زوجها الملك فؤاد ، بجانب أنها كانت تتمتع بطاقة وحيوية ، وأصبحت على استعداد تام لممارسة أول أدوارها السياسية ، وتوجيه ابنها خلال شلالات المسرح السياسى المصرى ومياهه الضحلة ، وقد فردت شراعها فى الساحة السياسية كفرقاطة ذات ٧٤ مدفعاً ، وأعدت كل أنظمتها للإطلاق (٥) .

وكانت الخطوة الأولى فى طريق الزعامة السياسية هى أن تجعل « فاروقاً » الذى مازال فى طور المراهقة نفيًا يستقر ويتزوج فى أمان من فتاة مطيعة ومؤدبة . . فتاة من عامة الشعب تماماً كما كانت هى ذاتها .

وكان ثمة اعتبار آخر كان شاغلها الشاغل ، هو سرعة أن يكون للملك خليفة ، فكلما أسرع الملك فى الإنجاب كان ذلك أفضل ، فقد كان ذلك أمراً ضروريًا لمواجهة التهديد الكامن والمتمثل فى مطالبة الأمير محمد على توفيق ، ولى العهد الذى بلغ آنذاك العقد السابع من عمره بوراثة عرش مصر .

لقد كانت صافيناز مناسبة إلى حد كبير لطموحات الملكة الأم ، كما كانت نازلى ترقب بارتياح قدرتها على السيطرة على المغريات النسائية والمغازلات التى لابد منها لاصطياد الملك الشاب الساذج ! وكان كل ما يلزم هو أن تعطى الملكة الأم الضوء الأخضر ، وقد تم لها ذلك عن طريق زينب هانم والدة « صافيناز » التى كانت إحدى وصيفات الملكة نازلى (٦) .

وكانت الملكة الشابة « فافيت » تتمتع بكل ما يبشر بأنها ستكون زوجة مثالية ، كما كان يقول المقربون من القصر ، وكانت تصرفاتها حيال صاحبة الجلالة الملكة الأم نازلى تتسم بالاحترام والتواضع ، تلك كانت أهم الصفات التى بحثت عنها الملكة نازلى طويلاً .

وقد جاء إعلان الخطوبة بعد حفل التنصيب ، وأثار الملك الشاب والملكة

---

(٥) المصدر السابق .

(٦) عادل ثابت ـ المصدر السابق .

الحسناء والصورة الجميلة الوقورة للملكة نازلى خيال أبناء الشعب آنذاك وحماسه ، وراح المصريون يهتفون للملك الشاب والملكتين بشدة من الأعماق ، مما أثار خوف البريطانيين ، وقد أصبح فاروق ملكاً رغماً عنهم ! .

كان عام ١٩٣٧ هو عام نهاية المراهقة للملك الشاب فاروق ، والبداية الرسمية لتوليه الحكم ، ومن خلفه وقفت بقوة الملكة الأم « نازلى » تراقب وتنصح على المستويين : السياسى والشخصى . . حيث كانت صراعات فاروق الخفية والعلنية قد بدأت على الملعب السياسى وفى داخل بيته أيضاً .

كانت هناك ـ كما يؤيد عادل ثابت قريب الملك فاروق ـ معركة كبرى يجرى الإعداد لها داخل القصر الملكى ، وكان نزاعا من نوع معروف لدينا جميعاً . . النزاع المنبثق من مشاعر الحماة تجاه زوجة الابن ، ومشاعر الزوجة تجاه حماتها .

لقد كانت الملكة نازلى امرأة شابة كما أسلفنا ، وقد اختارت الزوجة للابن بمواصفات معينة بمقاييسها الشخصية ، لقد أدارت المسألة من بدايتها . . منذ نشأت قصة الحب « إياها » وحتى إتمام مراسم الزواج ، لقد كانت المدبرة الفعلية لهذه الأحداث داخل القصر وداخل عقل وجسد ابنها الشاب فاروق .

وقبل فوات الأوان . . اكتشفت الملكة نازلى بعد إتمام هذا الزواج أن فريدة الشابة الجميلة التى اختارتها لابنها فاروق ليست تلك البنت الصغيرة التابعة التى كانت على استعداد أن تسمع كلام حماتها وتسير فى ركابها ، بل على العكس ، فإن فريدة اتجهت إلى أن تقوم بدور الملكة ، وهنا كانت تكمن بذور النزاع .

ولم تكن الملكة الأم مستعدة لقبول هذه الأوضاع التى كانت مفاجأة لها ، ومن ثم اتخذت كافة الحيل للتغلب على هذه الرغبة التى أبدتها زوجة ابنها فريدة !

ويأتى فى مقدمة هذه الحيل التى لجأت إليها الملكة الأم آنذاك . . أنها استطاعت تعديل الدستور المصرى القديم الذى لم يكن يتضمن أى نص يتعلق بالملكة الأم ،

وبالتالى كان الشعب ينظر إليها باعتبارها الملكة السابقة ! . لقد تمكنت نازلى من تعديل هذا النص بحيث سجلت فى الدستور الجديد وجود ملكة ثانية لمصر ، إنها الملكة الأم التى احتفظت بكافة امتيازاتها الملكية ، وبذلك احتلت مركزاً مسيطراً داخل الأسرة المالكة ! .

وقد مارست الملكة نازلى هذا المنصب عن قوة واقتناع . . وبدا ذلك واضحاً داخل القصر وخارجه ، حيث كانت الملكة الأم أجمل من الملكة الشابة زوجة فاروق، وثيابها بدت أحسن من ثيابها ، كما أنها كانت فى الأصل أطول قامة وأكثر رشاقة ، وبالتالى كثيراً ما كانت تثير استياء الملكة الأصغر سنًّا « فافيت » .

وكان على فاروق أن يتحمل ثقل وعبء هذه المشاكل ، وكانت المواجهة بين الملكتين تحمل تضحيات سياسية ، فقد كانت الملكة نازلى باعتبارها الأكثر علماً وخبرة ، تؤيد سياسة تقارب بين زعامة الوفديين الوطنيين وبين الملك ؛ إذ كانت تعتقد أن ابنها يستطيع أن يجد صديقاً ومؤيداً ومخلصاً فى زعيم الوفد الذى كانت زوجته صديقه لها ، كما كانت نازلى تعلم تمام العلم أن ابنها الملك الشاب عديم الخبرة السياسية فيما يتعلق بطرق التعامل مع المندوب السامى البريطانى ، والذى كان هدفه هو خلق المشاكل والمتاعب لابنها الملك ، والعمل على زيادة الهوة السياسية بينه وبين زعماء الوفد . لقد كان فاروق أصغر من أن يمارس نوع اللعبة التى كان والده بارعاً فيها .

وقد كانت الملكة نازلى فى مثل هذه الأمور السياسية ، وأكثرها تعقيداً ، تبدى فطنة سياسية نادرة ، ممزوجة بمستوى غريب من الشجاعة ؛ لأنها كانت تعلم جيداً أن معارضتها لسياسة المندوب السامى فى مصر كانت عملاً محفوفاً بالأخطار ، أما الملكة « فافيت » زوجة الملك الشاب فكانت على عكس الملكة الأم ، حيث كانت تؤيد سياسة تنسجم مع سياسة البريطانيين التى يقودها المندوب السامى البريطانى من قصر الدوبارة ، وبالتالى كانت تدفع زوجها الملك الشاب فى طريق اعتناق سياسة بريطانيا العظمى ، تأثراً بوجهة نظر قريبها حسين سرى باشا ، رئيس وزراء مصر آنذاك الذى كان يتقلب ولاؤه بين الإخلاص للملك والولاء للبريطانيين .

وبلغت براعة الملكة نازلى فى الملعب السياسى ذروتها عندما أحبت ، بل وعشقت رئيس الديوان الملكى أحمد حسنين باشا ، صديق البريطانيين بالقصر الملكى المصرى ، وانطلقت فى علاقة غرامية معه وهو أكثر الوزراء ميلاً لبريطانيا ، حتى بلغ بها الأمر أن تزوجته عرفيًّا حتى تخضعه لنفوذها ، وتكون كل تحركاته تحت سمع وبصر ابنها الملك الشاب فاروق من خلال سيطرتها عليه داخل غرفة خلع الملابس .

وحين تفرغت الملكة الأم لزوجها الجديد وفضلت حياتها وشبابها وحيويتها مع هذا الزوج ، ابتعدت عن عرش مصر من خلف نوافذ غرف خلع الملابس ، ويبدو أن ابتعادها عن العرش وتخليها عن الملك الشاب فاروق ، كان بداية للسقوط الكبير الذى استمر فى العد التنازلى حتى عام ١٩٥٢ حين رحل الملك وحمل عصاه هو وحاشيته وأسرته إلى خارج مصر . .

وانتهت بذلك الملكية التى بدأت بذورها تُغرس فى أيام الوالى محمد على .

■■ جيهان السادات

نائب رئيس جمهورية

قد يتساءل البعض . . ولماذا لم تَخْتَـرْ زوجة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كى تتحدث عنها كزعيمة سياسية لمصر بعد الثورة من خلال موقع زوجها الزعيم ، الذى تولى رئاسة الجمهورية فى مصر لأول مرة فى التاريخ من بعد الرئيس الراحل محمد نجيب ، مع أنها قد شاركته فى الأيام الأولى والأخيرة فى الإعداد والقيام بالثورة ، حتى ولو على سبيل الاستماع فقط وإبداء الرأى والمشورة .

نقول : إن السبب فى عدم الحديث عن السيدة « تحية » زوجة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كزعيمة سياسية ، أنه حتى الآن لم يظهر لها أى دور سياسى مسموع أو مكتوب داخل قصر الرئاسة ، أو فى غرفة خلع الملابس بمنشية البكرى ، لقد كانت بحق سيدة منزل ، شاركت زوجها فى حياته الخاصة وتربية أولاده داخل جدران البيت ، وربما كانت تشاركه فى بعض رحلاته الخارجية بدون أن يكون لها صوت تنفرد به يؤثر على اتخاذ القرار السياس .

وإننا نعتقد أن السيدة « تحية عبد الناصر » رحمها الله ، لو كانت قد حاولت أن تلعب دور الزعيمة السياسية من خلف زوجها فى بداية أيام الثورة أو فيما بعد ، ولو كان عبد الناصر قد نزل بكبريائه واستمع إلى صوتها ، ربما تغير حالنا وجنبت عبد الناصر ومصر والشعب المصرى العديد من الكوارث التى كنا فى غِنى عنها .

وحين تولى السادات رئاسة مصر بعد رحيل جمال عبد الناصر . . تواترت الأخبار ثم تأكدت فيما يتعلق بالدور الذى لعبته زوجته السيدة جيهان صفوت منذ الأيام الأولى لتوليه الرئاسة ، وفى نجاحها الباهر فى الاقتراب من موقع اتخاذ القرارات السياسية ، بل والتأثير على الرئيس نفسه فيما يتخذه من قرارات .

وقد وصل هذا الدور الذى لعبته إلى قمته ، حين تردد كثيراً ـ وبعد مرور سنوات قليلة من حكم السادات ـ أنه كان ينوى تعيين زوجته السيدة « جيهان » نائبا لرئيس الجمهورية ، وتقول المصادر التى تناقلت هذا الخبر : إن السادات تقدم آنذاك باقتراح يحمل هذا المعنى إلى مجلس الوزراء المصرى .

وبعد رحيل السادات تناثرت الحكايات هنا وهناك . . بل وتأكدت عن نفوذ وقوة وذكاء السيدة « جيهان السادات » سيدة مصر الأولى ، كزعيمة سياسية ، ليس من خلف زوجها ، بل من أمامه وبموافقته ، الأمر الذى كان يجعلها تصدر القرارات برغم أنها لم تكن تحكم ! .

وأكثر الحكايات التى ترددت بدون تأكيد فور رحيل السادات ، أن زوجته السيدة « جيهان صفوت » كانت تعد نفسها لتولى رئاسة مصر فور اغتيال زوجها فى حادث المنصة عام ١٩٨١ ، وأنها كانت قد رتبت الأمور لتولى هذا المنصب داخليًّا وخارجيًّا .

لكل ما تقدم كانت السيدة « جيهان صفوت » إحدى سيدات مصر فى العصر

الحديث اللاتى كن فى موقع متقدم جدًّا من الزعامة السياسية المصرية . . وبالتالى ستكون موضوع حديثنا للاقتراب أكثر من عالمها السياسى الخارجى .

إن جيهان السادات . . كانت بالفعل امرأة لديها كل مقومات الزعامة السياسية التى اكتسبت بعضها من اقترابها من زوجها السادات ، الذى كان الرجل الثانى أو الثالث فى زمرة الجماعة العسكرية التى فجرت الثورة ، هذه المقومات ظلت حبيسة بداخلها سنوات طوالا ، بل أخذت تنميها يوماً بعد يوم حتى واتتها الظروف وقذفت بها إلى الملعب السياسى بكل قوة كى تشارك السادات فى حكم مصر .

كانت البداية بالنسبة لها حين اقترنت بالضابط أنور السادات ، ولم تحزن لكونها الزوجة الثانية له . ثم أخذت تدفعه إلى الأمام وتشجعه فى خطواته داخل المجتمع المصرى ، حتى نجح فى دخول تنظيم الضباط الأحرار الذى قام بثورة يوليو ، ومن يومها بدأت تعد نفسها لدور الزعامة ، وقد ساعدت السادات كثيراً فى الوصول إلى تولى منصب الرئاسة بعد رحيل جمال عبد الناصر .

ويبدو أن السيدة جيهان صفوت قد وجدت فى شخصية السادات الأرض الخصبة التى بذرت بداخلها بذور زعامتها السياسية ، ولم تكتف بما كانت تتمتع به من جمال وذكاء ، بل تمادت فى استخدام مقومات شخصيتها حتى نجحت فعلاً فى أن تلعب دور الزعيم السياسى المصرى ، وكانت قاب قوسين أو أدنى من تولى منصب الرئيس ، لولا الظروف المعاندة التى تدخلت فى الوقت المناسب وحالت دون إكمال دورها داخل الملعب السياسى المصرى فى العصر الحديث .

إن الحديث عن دور جيهان السادات فى الملعب السياسى يتطلب وقفة نتعرف من خلالها على تاريخ حياتها ، ونسبها ، وبعض لمحات شخصيتها ، حتى تكتمل صورتها الشخصية أمامنا ، ونعرف كيف كانت وكيف أصبحت . . ! .

لقد تعرفت جيهان صفوت لأول مرة بالضابط الأسمر أنور السادات فى بيت حسن عزت بمدينة السويس ، وكانت فى زيارة لابنة عمتها زوجة حسن عزت ، أُعجب بها أنور السادات وتعلق بها من أول نظرة ، وكانت يومئذ فى السادسة عشرة من

عمرها ، جميلة ، مملوءة شباباً وحيوية . وإذا كان الإعجاب هو كل ما ذكره السادات عن زوجته الشابة جيهان فإنها قد بالغت مبالغة شديدة فى وصفها لحبها للضابط أنور السادات مما لا تتحمله البيئة ، ومما لم يكن لنا به عهد من فتاة فى مثل هذه السن [٧] .

أما فيما يتعلق بالأصل والجذور فإن جيهان صفوت تنحدر من أسرة اختلف المؤرخون فى تحديد أصلها وموطنها . . إذ يقول البعض إن أُمهاإنجليزية المولد والإقامة . . والبعض الآخر يرى أنها امرأة من مالطة ، تزوجها صفوت رءوف والد جيهان .

وعلى أية حال فإن جيهان السادات تحسم هذا النسب بقولها : إن والدها صفوت رؤوف قابل والدتها « جلاديس تشارلز كوتريل » فى عام ١٩٢٣ بمدينة شفيلد انجلترا، حيث كان يدرس الطب هناك ، وكانت الزوجة تعمل آنذاك مدرسة موسيقى .

أما الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل فيكذِّب هذه الرواية ويسوق لنا رواية أخرى يؤكد من خلالها أن والدة جيهان ليست إنجليزية ، وإنما هى سيدة من مالطة . حيث يقول : إن جلاديس كانت امرأة من مالطة ، وإنه عندما أصبح أنور السادات رئيساً للجمهورية تصورت جيهان من معلومات متناثرة سمعتها أن أمها تنتمى لعائلة إنجليزية من شفيلد ، وعندما قامت مرة بزيارة انجلترا فإن عملية بحث واسعة النطاق جرت للبحث عن أصول « جلاديس » ولم يعثر لها على أثر هناك [٨] .

أما الوالد الذى قيل إنه كان يدرس الطب فى شفيلد فقد ذكر أحمد طلعت أنه كان يشغل وظيفة « مبخر » بوزارة الصحة [٩] .

تقدم أنور السادات لخطبة الآنسة جيهان صفوت ، ولكن وجود زوجة له وعدم حصوله على دخل ثابت بعدما طُرِدَ من الجيش كان أهم العقبات أمام إتمام هذا

---

(٧) د . أحمد شلبى ـ أنور السادات شخصيته وعصره ـ الجزء العاشر من موسوعة التاريخ الإسلامى .

(٨) محمد حسنين هيكل ـ خريف الغضب .

(٩) د . أحمد شلبى ـ المصدر السابق . .

الزواج ، ولكن سرعان ما زالت هاتان العقبتان ، تحث ذكر السادات لأسرة جيهان أنه ينوى الانفصال من زوجته الأولى ، وقد بدأ هذه الخطوة فعلاً ، كما ذكر أنه يستطيع أن يعود للجيش بعد أن برأته المحكمة ، وسيحاول العودة إلى الجيش من جديد ، وأمله كبير فى نجاح هذه الجهود . وبالفعل اقتنعت أُسرة الآنسة جيهان بهذه الظروف، ومن ثم وافقت على إتمام هذا الزواج الذى تم فعلاً فى مايو عام ١٩٤٩ بعد أن انفصل عن زوجته الأولى بحوالى شهرين ، تلك الزوجة التى اقترن بها فى بداية حياته وأم بناته وابنة عمدة ميت أبو الكوم .

وأمضى أنور السادات شهر عسل زواجه الجديد بين فندق « بوريفاج » بالإسكندرية ومدينة الزقازيق بالشرقية(١٠)

وتقول بعض الروايات أن أنور السادات قد دبر مهر زوجته الجديدة من جيبه الخاص ، إلا أن هناك رواية يسوقها محمد حسنين هيكل تخالف ذلك ، حيث يقول: إن كشف حساب وجُد بعد ذلك فى مكتب يوسف رشاد بالقصر الملكى ورد به أن يوسف رشاد قدم لأنور السادات مبلغ ألف جنيه فى هذه الفترة كى يؤسس به بيت الزوجية الجديد .

ويؤكد هذه الرواية ما قاله حسن عزت من أن أنور السادات بعدما أصبح رئيساً للجمهورية ظل على اتصال بأسرة يوسف رشاد ، وقدم هدية لابنة يوسف رشاد عندما تزوجت ، أما عن مصروفات الزواج فيذكر حسن عزت أن السادات اقترض من رأس مال إحدى الشركات مبلغ ألف جنيه لزوم المصريف .

وعلى الجانب الآخر كانت السيدة جيهان صفوت زوجة الضابط أنور السادات ـ الذى شارك فى تنظيم الضباط الأحرار ـ تحرص كل الحرص على أناقتها ومظاهر جمالها المتألق دائماً ، وزاد هذا الاهتمام بعد نجاح الثورة واقتراب زوجها من مواقع السلطة حيث أصبح لها العديد من عيون السيدات اللائى أصبحن يَرْتَدْن المحال الفاخرة لمعرفة أحدث ما بها من معروضات تكون دائماً موضع اختيار السيدة جيهان .

---

(١٠) د . أحمد شلبى ـ المصدر السابق .

ويبدو أن بذور الزعامة السياسية بداخلها بدأت تنبت منذ نجاح زوجها فى تنظيم الضباط الأحرار الذى نجح بدوره فى القيام بثورة يوليو . فعندما أصبح أنور السادات سكرتيراً عاماً للمؤتمر الإسلامى ، حين أُحيل والدها إلى التقاعد ، سعت لتعيينه فى وظيفة مناسبة ، حيث ألحقته موظفاً من الدرجة الأولى بالبنك العقارى العربى .

وخلال مراحل كفاح أنور السادات ـ سواء قبل الثورة أو بعدها ـ نجحت السيدة جيهان فى أن تربط نفسها ومصيرها وذكاءها بهذا الكفاح . فقبل الثورة استطاعت أن تقنع زوجها عضو تنظيم الضباط الأحرار أن يبتعد عن موقع الأحداث ليلة الثورة ، حتى إذا فشلت يتنكر لهم . . وإذا نجحت فإنه منهم . . ومما يؤكد هذا الموقف أن السادات ليلة الثورة حضر إلى القاهرة من رفح ، حيث كان يعمل هناك ضابط اتصال وإشارة ، وكان حضوره فى الليلة التى حددها الضباط الأحرار لقيام الثورة ، فى هذه الليلة ذهب السادات مباشرة إلى منزله بالجيزة واصطحب معه زوجته ، وذهب إلى إحدى دور السينما الصيفية بالمنيل .

ليس هذا فقط ، بل إن السيدة جيهان أقنعت زوجها بضرورة افتعال معركة داخل السينما والذهاب إلى القسم لإثبات مكان وجوده هذه الليلة ، وقد كان لها ما أرادت ، حيث اصطنع السادات بالفعل هذه المشاجرة وأصر على الذهاب إلى قسم الشرطة ، لقد كان هدف السادات أن يثبت ـ إذا لزم الأمر وفشلت حركة تنظيم الأحرار ـ أنه كان بعيداً عن هذه الحركة ، وأنه كان موجوداً بالسينما . ولكن لحسن حظه نجحت الحركة ، ومن ثم أصبح واحداً من هؤلاء الضباط الذين ارتبط اسمهم بنجاحها . وقد أسند له زملاؤه العديد من المهام فى الأيام الأولى للثورة ، حيث تَلاَ بيان قيامها فى الثالث والعشرين من يوليه عام ١٩٥٢ ، كما كان الرجل الذى كُلِّفَ بتوصيل خطاب الإنذار للملك فاروق بمغادرة مصر .

إن نجاح ثورة يوليو . . ونجاح السادات فى التقدم إلى الصفوف الأمامية على غيره من ضباط حركة الأحرار ، كان بمثابة البدايات الحقيقية للزعامة السياسية التى بدأت

تنمو داخل كيان وشخصية جيهان صفوت رؤوف ، وتمثل ذلك فى العديد من المواقف والأحداث ، نذكر منها تدقيقها فى اختيار منزلها الجديد ، بحيث يكون مناسباً لدور زوجها ، وبالتالى لدورها .

فقد كان السادات فى بداية حياته يسكن بمنطقة الهرم ، وقد شعرت جيهان بأن منزلها القديم لم يعد يصلح لوضعها الجديد ، وأنه غير ملائم لأحلامها ، فأخذت تبحث كثيراً عن مكان بديل أكثر مناسبة لها ولزوجها بعدما أصبح السادات نائباً لرئيس الجمهورية .

وبموافقة جمال عبد الناصر تم تخصيص بيت مناسب للسادات ولأسرته ، كان من قبل أحد بيوت الضيافة المطل على النيل ، وكان يملكه قبل الثورة مليونير يهودى فُرضت عليه الحراسة ، ومن ثم تسلم السادات البيت الجديد الذى تحول فيما بعد إلى منزل الرئيس السادات الملاصق لفندق « شيراتون » الدقى ، ابتداء من منتصف أكتوبر عام ١٩٧٠ حيث اخْتير رئيساً للجمهورية خلفاً للرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

●●●

وحين تولى السادات رئاسة مصر . . بدأت مرحلة جديدة فى حياته وفى حياة زوجته جيهان ، وكان أولى ثمارها أن اختار لها لقب « سيدة مصر الأولى » . مما أكد ما بداخلها من رغبة للزعامة السياسية ، التى سرعان ما استطاعت من خلال جهودها وذكائها أن تؤكده على أرض الواقع ، وداخل أروقة الحكم والسياسة فى مصر فى تلك الفترة من خلف نوافذ غرف خلع الملابس .

كانت « جيهان » كما يقول الدكتور أحمد شلبى واسعة الآمال ، وبعض وسائلها لتحقيق هذه الأمال لم تكن بسيطة . . حيث خرجت بكل حواسها و إمكاناتها النفسية والنسوية إلى الحياة العامة ، و إلى الشارع السياسى المصرى ، تحاول بقدر ما تملك تحقيق هذه الأحلام التى نوهت عنها فى كتابها الذى أصدرته بعد رحيل زوجها بعنوان : «سيدة من مصر » حيث قالت : إنها فى إحدى المرات مدت يدها لقارىء كف . . فقال لها : إنها ستصبح ملكة مصر ! .

وقد حاولت جيهان السادات أن تسير وفق هذه الرؤية عندما أصبح زوجها السادات رئيساً للجمهورية ، حيث حاولت أن تبدأ أولى خطواتها نحو الزعامة السياسية ، ولكن الشهور ما بين عام ١٩٧٠ ومايو عام ١٩٧١ كانت شهور قلق ، ولم تصبح سلطات السادات كاملة إلا حين قضى على أتباع الرئيس الراحل عبد الناصر فى ١٥ من مايو عام ١٩٧١ ، ومن ذلك الحين خلع السادات على زوجته لقب « سيدة مصر الأولى » ، وكان هذا اللقب الجديد غريباً على المجتمع المصرى ، ومقتبساً من البيت الأبيض الأمريكى ! .

وقد جلب هذا اللقب السخرية والسخط من جانب المصريين على السادات وزوجته ؛ لأنه لقب جديد على المجتمع المصرى ؛ لذا لم يغفر أغلب المصريين للسادات اختياره لهذا اللقب لزوجته الشابة ، ولا شك أنه أحس بهذا النفور هو وزوجته ، ولكن العناد لم يسمح له بالتراجع ؛ لأن الرؤساء عادة لا يبالون بسخط الرعية[١١] .

●●●

فى بداية نزول السيدة جيهان إلى أرض الملعب السياسى كانت تجرب وسائلها الخاصة فى تدعيم موقعها بالقرب من أماكن اتخاذ القرارات السياسية المصيرية ، حيث بدأت نشاطها فى الحياة العامة داخل الميدان الاقتصادى بالاقتراب من أصحاب الأعمال والمال ، وكانت وسيلتها الوحيدة داخل هذا المجتمع أنها جمعت حولها بطانة خاصة من سيدات رجال الأعمال ، وقد اعترف السادات نفسه بهذا الدور الذى تلعبه زوجته ، حيث قال حين سُئل عن الترف الذى تعيش فيه أسرته : « إن زوجتى من أصحاب الأعمال والمال ، فقد كان لها العديد من المشاريع الاقتصادية التى تدر عليها أرباحاً طائلة داخل مصر وخارجها ، مثل مشروع « سرفيس » مطار القاهرة ، والمزرعة التى اشترتها بإحدى ولايات أمريكا » .

كما استدارت إلى ممارسة نشاط آخر أكثر حيوية وتأثيراً وجماهيرية داخل المجتمع

---

(١١) د . أحمد شلبى ـ المصدر السابق .

المصرى، فاختارت الميدان الاجتماعى حيث أقامت دار الوفاء والأمل بعد حرب أكتوبر عام ١٩٧٣، وخصصت جهود هذه الدار لمساعدة جرحى الحرب وأسر الشهداء ومساعدة المعوقين . وتقول بعض المصادر المالية : « إن نشاط دار الوفاء والأمل وجهود السيدة جيهان السادات فى هذا المجال قد ارتبط بالعديد من المخالفات المالية، أهمها المعونة الأمريكية التى قدمتها الولايات المتحدة لهذه الجمعية ، وقدرها عشرة ملايين دولار ، وقد خصم هذا المبلغ من المعونة المخصصة لمصر آنذاك » .

ومن الميدان الاجتماعى انطلقت بسرعة الصاروخ إلى الملعب السياسى ، حيث أصبحت رئيسا للمجلس الشعبى لمحافظة المنوفية . . التابع له قرية ميت أبو الكوم التى نشأ فيها الرئيس السادات ، كما نجحت محاولاتها فى إقناع زوجها الرئيس السادات بإصدار قرار رئاسى بإضافة ثلاثين مقعداً للمرأة فى مجلس الشعب ، وتخصيص من ١٠ إلى ٢٠٪ من جميع المقاعد فى المجالس الشعبية للمرأة .

وقد وصلت جيهان السادات إلى قمة جهودها فى المجال السياسى العلنى . . حيث دفعت زوجها ـ وبإرادته واقتناعه ـ إلى تعيينها فى منصب نائب رئيس الجمهورية! . وبالفعل أعد زوجها السادات قرار التعيين باختيارها نائبا للرئيس ؛ إذ يخوله الدستور هذا الحق ، وزوجته السيدة جيهان سيدة قوية ، ولها أطماع سياسية، وجديرة بهذا المنصب ؛ إذ كانت دائماً تتقدم كبار رجال الدولة ويفوضها الرئيس فى تعيين واختيار الوزراء الجدد ورجال الصحافة والإعلام .

وتم إعداد القرار الجمهورى بتعيين السيدة جيهان صفوت رءوف نائبا لرئيس جمهورية مصر العربية ، ولكن فجأة علم صلاح الشاهد ، كبير الأمناء برئاسة الجمهورية فى ذلك الوقت بالقرار ، ومن ثم نصح الرئيس السادات بالتريث فى إصدار قراره حتى لايحدث هذا القرار صدمة للشعب المصرى ، ولابد من تهيئة أفراد الشعب لهذا المنصب ، وبالتالى أرجأ السادات هذا القرار ، ويبدو أنه تاه وسط الأدراج، أو أن السادات نفسه قد تعمد عدم إصدار مثل هذا القرار ؛ لأن زوجته فى

الواقع كانت نائبا للرئيس ، بل كانت هى الرئيس نفسه ، فقد كانت جيهان السادات تحتل المركز الثانى بعد الرئيس ، وتتقدم كبار رجال الدولة (١٢) .

ولم تنس جيهان السادات وسط مشاغلها من أجل تدعيم موقعها داخل الملعب السياسى المصرى ـ سواء من خلف ظهر زوجها أو من أمامه ـ لم تنس قط حقوق بقية بنى جنسها من النساء ، فقد بذلت جهوداً كبيرة للمرأة المصرية بشكل عام ، والعمل على منحها حقوقاً أكثر ، خاصة فيما يتعلق بتعديل قانون الأحوال الشخصية ، وموضوع تنظيم الأسرة ، وبالفعل نجحت تلك الجهود فى ٣ من يوليو عام ١٩٧٩ حين صدر قانون الأحوال الشخصية الجديد ، والذى أعطى فيه المشرع المرأة حقوقاً لم تكن فى القانون القديم .

وقد حرصت السيدة جيهان على حضور جلسة مجلس الشعب التى ناقش خلالها الأعضاء هذا القانون مع الدكتورة عائشة راتب وزيرة التأمينات ، وبجهود السيدة جيهان تمت الموافقة على تعديلات القانون الجديد بأغلبية ساحقة .

ولم ينس السادات جهود زوجته وفضلها فى مجال تدعيم موقعه ومنصبه كرئيس للجمهورية ، حيث كان لها الفضل فى سرعة القضاء على جماعة على صبرى؛ إذ نبهت السادات وقتها على ضرورة القضاء على الزملاء قبل أن يبدأوا هم به ! . وبالفعل نفذ السادات نصيحة زوجته ، ونجح فى القضاء على كل ما كان يتصل بحكم عبد الناصر ، وانفرد بالسلطة بعيداً عن سيطرة بقية أعضاء مجلس الثورة السابقين .

ولاقتناعه الشخصى بدورها الحيوى بجواره كان السادات يحرص كل الحرص على حضور زوجته لكل اجتماعات المكتب السياسى بكورنيش النيل ، للدرجة التى صورت لبعض المقربين للحكم أن السيدة حرم الرئيس كانت تحكم الحزب الوطنى ، وبالتالى كانت تحكم مصر ! .

وسعياً وراء تحسين صورتها الاجتماعية والسياسية داخليًّا وخارجيًّا حرصت جيهان السادات على اقتحام الجامعة بالطرق الشرعية ، والحصول على أعلى الدرجات

---

(١٢) أنور محمد ـ وراء كل ديكتاتور امرأة .

العلمية، عسى أن تقربها هذه الخطوة أكثر من صدور الناس وقلوبهم ، وبالتالى تهيئتهم نفسيًا لدورها كزعيمة سياسية ، ورئيسا لجمهورية مصر بعد رحيل زوجها ! .

فبعد حصولها على الثانوية العامة أثناء تولى زوجها رئاسة الجمهورية . . التحقت بجامعة القاهرة بقسم اللغة العربية بكلية الآداب ، ونجحت فى الحصول على درجة الليسانس عام ١٩٧٤ ، وتم تعينها معيدة بالكلية ، ثم شرعت فى تحضير رسالة الماجستير التى حصلت عليها عام ١٩٨٠ ، ومن بعده تمكنت بجهودها الشخصية من الحصول على الدكتوراه عام ١٩٨٦ ، وأثناء وجودها بالجامعة لم تكن فقط الطالبة جيهان السادات أو عضوة هيئة التدريس ، بل كانت الزعيمة السياسية جيهان السادات ، حيث كان تتقدم رئيس الجامعة ورؤساء الكليات ، وحتى وزير التعليم ، فى العديد من المناسبات ، وكانت هى التى توزع شهادات التقدير والتخرج على زملائها الطلاب والأساتذة .

ولم تكتف بالحصول على الدرجات العلمية من جامعاتنا فى الداخل ، بل سعت بجهودها الدبلوماسية للحصول على درجات علمية عالية من الجامعات الدولية ، وقد كان ، فقد استطاعت عن طريق النفوذ السياسى نيل تسع شهادات دكتوراه فخرية من مختلف دول العالم ، خاصة من أمريكا والفلبين ، وكل هذه الشهادات فى فروع العلوم الإنسانية .

وإذا ما تناولنا الجهود السياسية للسيدة جيهان السادات على المستوى الدولى وحاولنا حصرها فسنجدها كثيرة ومتنوعة ، ولكننا سنحاول اختيار أنسبها لحديث هذا الفصل ، كى نوضح أن السيدة جيهان كانت تتمتع بذكاء سياسى ، وقوة تحمل ، ودبلوماسية . . فعلى مستوى الدبلوماسية الخارجية ، فى عام ١٩٧٤ دعت جيهان السادات زوجات الرؤساء الأفارقة والعرب لزيارة مصر ، وقد استجاب لهذه الدعوة زوجات ما يزيد على ثلاثين دولة . كما برعت فى الإدلاء بالأحاديث الصحفية للصحف الأجنبية ووسائل الإعلام العالمية والمحلية ، كما كانت تبدى العديد من الآراء السياسية

الخطيرة فى كافة القضايا المصرية والعربية ، برغم أن الدستور المصرى لم يمنحها هذا الحق ، ولكنها تحاول أن تجرب دور الزعيم ، وتُقَوِّمَ نجاحها فى الملعب السياسى .

ومن القضايا السياسية والمشكلات العالمية التى تناولتها السيدة جيهان السادات بالحديث قضية فلسطين ، ومبادرة السلام ، وزيارة السادات للقدس ، وعلاقة مصر بإسرائيل ، وقضايا سياسية أخرى مختلفة ، فى الوقت الذى كان يحرم السادات ذلك على كبار رجال الدولة (١٣) .

كما كانت السيدة جيهان بجانب ذلك . . تحرص بشدة على المساهمة فى النشاط السياسى الدولى ممثلة لمصر ، سواء فى مؤتمرات المرأة أو فى غيرها من المؤتمرات الاجتماعية والسياسية ، مثال ذلك ما حدث فى المؤتمر العالمى للمرأة الذى عقد فى كوبنهاجن عام ١٩٨٠ ، وطالبت فيه السيدة جيهان بإصدار قرار يقضى بضرورة انسحاب إسرائيل من الأراض المحتلة ، واتخاذ إجراءات فورية لمساعدة المرأة الفلسطينية ومحو آثار الاحتلال الإسرائيلى ، كما أعلنت على لسانها أن مصر تؤمن بأن السلام العالمى هو الطريق الوحيد لخير البشرية .

وفى زيارتها للولايات المتحدة لافتتاح برنامج « مصر اليوم » عام ١٩٨١ كررت دعوتها للسلام ، وأثنت على جهود زوجها من أجل إحلال السلام فى الشرق الأوسط والمصالحة مع إسرائيل .

كما حرصت آنذاك على المشاركة فى أعمال مجلس الشئون العالمى بلوس أنجلوس . وفى كل رحلاتها الخارجية كانت دائمة الحرص على الالتقاء برؤساء الدول التى تزورها ، والتحدث معهم عن القضايا الدولية باسمها ، أو باسم مصر ، أو باسم زوجها .

●●●

وبعد مصرع الزوج بدأت العلاقات تتوتر بينها وبين الحكومة ، خاصة أنه أشيع فى الفترة التى أعقبت اغتيال السادات أنها كانت تخطط لتولى رئاسة الجمهورية ، وأنها

---

(١٣) أنور محمد ـ المصدر السابق

من أجل هذا الهدف طلبت مساعدة بعض أصدقائها من رؤساء الدول ، ولكن الظروف السياسية حينذاك ، ويقظة القائمين على الحكم قد حالت دون تحقيق هذا المخطط ، فتوقفت عن ممارسة دور الزعيمة السياسة الذى كانت تعد نفسها طويلاً له .

وأخيراً لم تجد أمامها طريقاً سوى السفر إلى الولايات المتحدة ، والعمل هناك فى إحدى الجامعات الأمريكية ، وبتوجيه من صديق زوجها . . هنرى كسينجر وزير الخارجية الأمريكى الأسبق ، حيث التحقت بجامعة « فورت كارولينا » لإلقاء محاضرتين أسبوعيًّا عن النساء والحضارة المصرية ، انتظاراً لفرصة أخرى من أجل الرجوع إلى أرض الملعب السياسى .

■■ وسيلة بورقيبة . . .

سيدة تونس الأولى

لو وقفت الظروف السياسية بجانب هذه المرأة لتمكنت قولاً وعملاً من اعتلاء كرسى الرئاسة بدولة عربية شقيقة فى عصرنا الحاضر ، ولبرهنت بقوة على إرادة وقدرة المرأة حين تريد وحين تصر على النجاح داخل الملعب السياسى ، بصرف النظر عن البيئة أو القيود الاجتماعية ، إنها السيدة وسيلة عمار ، زوجة الرئيس الحبيب بورقيبه الثانية .

● ● ●

وسيراً على نهج الحديث عن المرأة العربية ، والبعد بهذه الدراسة عن أن تكون مخصصة فقط للمرأة المصرية ، فقد كان علينا أن نختار نموذجاً أو أكثر للمرأة العربية التى نجحت فى الاقتراب كثيراً من موقع الزعامة السياسية ، من خلف ظهر الزوج . . الرئيس أو القائد فى عصرنا الحاضر .

وليست السيدة وسيلة عمار هى الوحيدة على هذا الدرب ، بل هناك غيرها من النساء العربيات اللائى كان لهن نفس هذا الدور ، ولكن لم يفصح التاريخ بعد عن هذا الدور ، وإن كانت بعض أخبار وروايات قد ترددت ومازالت عن دور امرأة الرئيس جعفر نميرى ونفوذها السياسى فى فترة حكمة لدولة السودان .

على أية حال . . إننا أبداً لا نعتمد فى كتاباتنا على أحاديث الناس دون أسانيد ؛ من أجل ذلك اقتصرنا فى حديثنا عن المرأة العربية الزعيمة فى الوقت الحاضر ، على زوجة الرئيس بورقيبه « الماجدة » وسيلة عمار .

لقد ارتبط كفاح الحبيب بورقيبه منذ شبابه بمقاومة الاحتلال الفرنسى لبلاده ، ونظراً لخطورته ونشاطه السياسى المعادى لسلطات الاحتلال ، فقد أجبره الفرنسيون على مغادرة تونس منفيًّا إلى إحدى الجزر ، ولم تَطُلْ أيام هذا النفى ، حيث تمكن بمساعدة آخرين من الهرب إلى مصر ، والإقامة فى القاهرة .

ومن مصر بدأ ينظم صفوف المقاومة ضد الاحتلال الفرنسى من جديد ، وجمع حوله تقريباً كل المناضلين التونسيين ، وكان ذلك عام ١٩٤٩ .

وبعد أن استقر مقامه فى القاهرة تعرف على السيدة وسيلة عمار التى أصبحت زوجته الثانية بعد قصة حب دامت طويلاً ، واستمرت حياتهما معاً حتى تمكن من الرجوع إلى تونس من جديد ، واستعاد نشاطه السياسى الذى تمثل فى رئاسته حزب الدستور الجديد الذى كان بورقيبه قد أنشأه فى عام ١٩٣٤ .

ثم أصبح الحبيب بورقيبة من بعد ذلك رئيساً لأول حكومة وطنية فى تونس فور إعلان استقلالها عن فرنسا ، بعد توقيع معاهدة الاستقلال عام١٩٥٦ . وفى يوليو من عام ١٩٥٧ تولى رئاسة الجمهورية التونسية بعد إلغاء الملكية . وقد لازمت السيدة وسيلة عمار الحبيب بورقيبة فى كل خطوات كفاحه ، منذ كان لاجئاً سياسيًّا فى مصر وحتى عودته إلى تونس وتوليه رئاسة الجمهورية ، حيث كانت هى الأخرى امرأة ثائرة على الاحتلال . . واشتركت فى العديد من عمليات النضال الوطنى ضد الاستعمار الفرنسى آنذاك . ودليل كفاحها فى هذا الميدان أنه تم القبض عليها فى عام ١٩٤٨ وأودعت أحد السجون ، ثم عادت من جديد إلى الكفاح ، وكان مصيرها هذه المرة السجن أيضاً إلى أن هربت هى الأخرى إلى مصر ، وهناك تقابلت مع الحبيب بورقيبة . والشىء الغريب أن إعجاب الزعيم التونسى للسيدة وسيلة استمر أكثر من عشرين عاماً حيث تزوجها رسميًّا عام ١٩٦٣ .

ومنذ تولى زوجها الحكم فى تونس أعدت « الماجدة » وسيلة نفسها بدنيًّا وفكريًّا من أجل الدخول إلى الملعب السياسى ، والسير فيه قدماً فى طريق الزعامة السياسية ، وقد خططت جيداً لهذه الخطوة ، حيث نزلت أولاً إلى الشارع التونسى كسيدة اجتماعية نشطة ومثقفة ، ومن ثم كانت تبدى رأيها فى العديد من الأمور السياسية الداخلية ، وأحياناً كانت تشارك فى اختيار معاونى الرئيس وكبار مسئولى الدولة .

ولم يكن الرئيس بورقيبة بعيداً عن محاولات زوجته فى الوثوب إلى السلطة ، والنزول إلى الملعب السياسى من خلف ظهره ، فقد فطن لهذا الدور فطلقها أخيراً واتهمها بالخيانة ! . ومن ثم غادرت تونس إلى الولايات المتحدة ، بعدما عرفت بقصة حب زوجها بورقيبة مع سيدة تونسية تصغره بأربعين عاماً(١٤) .

ويبدو أن الزعامة السياسية فى عصرنا الحالى ـ فيما يخص المرأة ـ تتسم بمحاولة المرأة إقناع زوجها بأن تكون سيدة فوق العادة ، أو ما اصطلح على تسميته اقتباسا من الغرب « السيدة الأولى » ! .

كان ذلك فى مصر بالنسبة للسيدة جيهان السادات ، حيث عرفنا أن زوجها خلع عليها لقب « سيدة مصر الأولى » . . وفى تونس أيضاً حيث نجحت السيدة وسيلة عمار فى إقناع زوجها بورقيبة بأن يخلع عليها لقب « الماجدة » وهى مرتبة تساوى «السيدة الأولى » وربما يرجع ذلك إلى كون المرأة تحتاج إلى سند أو دافع أو رخصة حتى تخوض بها أولاً غمار معاركها داخل الملعب السياسى كتابع أو كظل للزوج ، ولكن حين يشتد عودها وتعرف طريق اتخاذ القرار السياسى تبرز كزعيمة منفردة تبعاً لشخصيتها وذكائها ورصيدها التاريخى ، وفى هذه المرحلة تعلن أنها ليست فى حاجة إلى هذا اللقب ، بل وأحياناً تعلن أنها ليست فى حاجة إلى ظل الزوج ؛ لأنها أصبحت هى الزعيمة الحقيقية والحاكم الفعلى للبلاد .

---

(١٤) أنور محمد ـ المصدر السابق .

إن « الماجدة وسيلة » اتخذت من منحها هذا اللقب بداية الانطلاق فى عالم الدبلوماسية ، الذى عادة ما يبدأ بالنسبة للمرأة فى المجال الاجتماعى ؛ لأنه أقصر طريق لإقناع الشعب بها وتقريبها إلى قلوبهم وبطونهم ، ولأنها فى هذا المجال تحاول تقديم العديد من المشروعات النافعة للناس ، خاصة الطبقات الدنيا منهم .

ففى عام ١٩٦٥ زارت السيدة وسيلة بورقيبة القاهرة ، وكانت أول زيارة لها بعد أن أصبحت حرم الرئيس ، وأثناء زيارتها هذه طلبت نسخة من قانون الأحوال الشخصية المصرى للاطلاع عليه ؛ لتأخذ منه ما يمكن تطبيقه فى تونس .

وفى داخل تونس نفسها قامت بنشاط اجتماعى مذهل ، لم يقتصر على المرأة فقط بل امتد إلى كل فئات الشعب .

ثم بدأت فى تنفيذ الخطوة الثانية على الطريق ، حيث شاركت على استحياء فى شئون السياسة الداخلية التونسية ، وأخذت تقريباً تتقدم ببطء نحو موضع اتخاذ القرار السياسى ، مستغلة فى ذلك تاريخها الطويل فى الكفاح من أجل استقلال تونس، مثل زوجها بورقيبة .

وظهرت أول مشاركتها السياسية داخليًّا حين أشارت على زوجها أن يرفض دعوة تكوين أى حزب جديد إلا إذا كان مستنداً إلى شعبية مؤثرة . . كما شاركت فى اختيار الوزراء ، حيث كانت تبدى الرأى الذى يأخذ به بورقيبة ، فعندما استقال « عزوم الأحدم « فى أكتوبر عام ١٩٨٣ وقع تفكير زوجها على « الهادى جدوك » ، لكنها ثارت واعترضت لدى بورقيبة فى حضور محمد مزالى الوزير الأول آنذاك .

ومع تقدم السن بالزعيم بورقيبة بدأ نفوذ « الماجدة وسيلة » ينمو بشكل مخيف داخل قصر الرئاسة التونسى ، وخاصة أنها عرفت بتدهور صحته وعجزه عن تسيير أمور الدولة وإدارة دفة الحكم . وهى نفسها التى صرحت فى إحدى المرات من قبل بأنها ـ بحكم وجودها بجوار زوجها الحبيب بورقيبة ـ كانت تجد نفسها مشاركة فى السياسة وأمور حكم البلاد .

ويبدو أن العديد من التونسيين كانوا على علم بما تقوم به الماجدة وسيلة للزحف

نحو السلطة وتولى الحكم بتونس ، فوقفوا ضدها وأعلنوا موقفهم دون خوف ، وفى مقدمة هؤلاء « محمد مزالى » الوزير الأول التونسى الذى كان يطمع هو الآخر فى تولى حكم تونس بعد رحيل الزعيم .

وقد اشتد الصراع الخفى بين وسيلة ومزالى ، وكلاهما يريد الحكم بعد رحيل بورقيبة ، وقد نجحت الزوجة الزعيمة الماجدة وسيلة فى صراعها مع الوزير الأول وزوجته ، إذ أقنعت الرئيس بخطورة وزيره الأول وبأطماعه ؛ لذا رأت أنه من الضرورى التخلص منه وإعدامه ، وحين علم مزالى بنوايا بورقيبة وشعوره تجاهه ترك تونس هارباً عبر الحدود إلى الجزائر ، ثم إلى سويسرا ، وهناك علم بالحكم عليه بالأشغال الشاقة ، عندئذ انتصرت وسيلة بورقيبة فى أول معاركها السياسية ليس من خلف ظهر زوجها ، بل من أمامه وبتوقيعه وبتأييده !

●●●

أحياناً يكون التقدم فى السن ودخول الإنسان مرحلة الشيخوخة . . هو تقدم فى الخبرة ، والمكر والخداع أيضاً ، وينطبق هذا القول على الزعيم الحبيب بورقيبة ، الذى تصور كل من حوله أن تقدمه فى السن وتخبطه فى اتخاذ القرار يعنى أنه قد انتهى ، ويمكن استغلاله من خلال وجوده فى منصبه كرئيس للدولة من أجل تحقيق المكاسب السريعة ، وأول من تصور هذه النظرة الزوجة « الماجدة وسيلة » التى رأتها فرصة للوثوب إلى السلطة وممارسة دورها القيادى كزعيمة سياسية فى البلاد . ولكن بورقيبة برغم تقدمه الكبير فى السن لم يكن يغفل لحظة ، أو يأمن شر زوجته ؛ لأنه كان يعرف أنها خصم عنيد ، ولابد من القضاء عليها بأية وسيلة .

فبعد أن تخلص بورقيبة من كافة معارضيه داخل الأحزاب ، اتجه إلى التخلص من ابنه الوحيد ، كعامل إرهاب لبقية أهل منزله ، وعلامة على طريق التخلص من الزعيمة « الماجدة » التى كانت قد بلغت الرابعة والسبعين من عمرها .

ووسط ذهول الشعب التونسى ، وبقرار مفاجىء أذهل الجميع فى تونس والعالم العربى ، أعلن بورقيبة طلاق زوجته « وسيلة عمار » واتهمها بالخيانة لبلده ، وله

كزوج!! . ويبدو أن بورقيبة قد وجد فى قرار تطليق الزوجة خير وسيلة للقضاء عليها كزعيمة وكربة أسرة أيضاً ، كما كان دافعه إلى هذا القرار ـ كما أُشيع ـ زواجه الجديد من فتاة تونسية تصغره بأربعين عاماً .

وقد أحدث هذا القرار دويًّا داخل صدر « وسيلة عمار » . . حيث أعلنت الحرب على زوجها واتهمته بالجنون بعدما فشلت فى تغيير الدستور بحيث ينص على أن تتولى الزوجة حكم تونس من بعد رحيل بورقيبه ! . وزاد غضبها أكثر حين عرفت بأن الزوج العجوز تزوج من غيرها ، وبالتالى قطع عليها خط الرجعة فى مجال الزعامة داخل المنزل وداخل تونس .

ومن أجل القضاء على البقية الباقية من نفوذ الماجدة وسيلة ادعى أنها دبرت خط لقتله والإطاحة به ، فأصدر قراراً بنفيها إلى فرنسا .

وبعد قرار النفى وسرعة تنفيذه أُعلن فى بيان صادر من رئاسة الجمهورية التونسية أن المحكمة الابتدائية قد حكمت بتطليق الرئيس من زوجته الماجدة ، وأن هذا الطلاق سببه أن الزوجة أرادت أن تطيح بالزوج الرئيس . وبعد قرار المحكمة والطلاق ، قرر الرئيس بورقيبة حذف لقب « الماجدة » من اسمها وتعلل فى ذلك بأنها أدلت بتصريحات صحفية معادية له ولتونس ، وأنها أثناء توجودها فى قصر الرئاسة حاولت تغيير الدستور واتخاذ مواقف يعاقب عليها القانون .

وبعد إذاعة البيان زاد الهمس وكثرت الإشاعات . . بأن السبب الرئيسى من وراء التخلص من الزوجة الزعيمة بتطليقها ونفيها هو معرفة بورقيبه برغبتها فى أن تصبح رئيسا لتونس ، سواء وهو على قيد الحياة ، أو من بعد رحيله ! .

ويبدو أن لكل إشاعة أساساً من الواقع ، ففى تقرير لوكالة « رويتر » ، نُشر فى أغسطس عام ١٩٨٦ من تونس ، اتضح من خلال استعراضه مدى قوة النفوذ السياسى للسيدة « وسيلة » داخل القصر الحاكم فى تونس وأن الدافع الحقيقى للتخلص منها عن طريق الطلاق بعد زواج دام ٢٤ عاماً هو تأثيرها الواضح على مجريات الحياة السياسية التونسية من خلف ظهر زوجها المريض والشيخ المسن ، إلى

الدرجة التى جعلتها تفكر جيداً فى إجراء انتخابات رئاسية عاجلة فى حالة وفاة الرئيس حتى حلول موعد الانتخابات الجديدة ، حسبما ينص على ذلك دستور تونس .

●●●

ولقد وقفت الظروف المعاندة سدًّا منيعاً أمام تحقيق رغبة « وسيلة عمار » فى أن تصبح زعيمة سياسية ، ولم تجد أمامها سوى النفى الاختيارى ، فسافرت إلى فرنسا ، ثم إلى أمريكا ، وهى المرأة التى بلغت من العمر أربعة وسبعين عاماً ، . ومازالت تعيش هناك على أطلال الأيام الخوالى التى كانت خلالها زعيمة سياسية من داخل القصر الرئاسى ، ولم تسعفها الظروف كى تكون زعيمة سياسية بإرادتها وإرادة شعبها .